مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (9) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (9) 2021

صورة الوطن في "ديوان الأطفال" عند سليمان العيسى

منى رجب مصطفى*

(تاريخ الإيداع 10 /5 /2021. قُبِل للنشر في 12/14 /2021)

□ ملخّص □

عني الشاعر سليمان العيسى عناية فائقة برسم صور متعددة للوطن في "**ديوان الأطفال**"، سعياً منه إلى ترسيخ تلك الصور في وجدان الصغير، وزرع قيم المواطنة في عقل الطفل العربي؛ لما لذلك من دور كبير في بناء الأوطان وازدهارها، فالطفل هو المستقبل الواعد الذي سيغير الواقع، ويساهم في دفع عجلة التقدم والتطور إلى الأمام. وسنقوم في هذا البحث بدراسة أنماط صور الوطن التي قدمها العيسى للأطفال في هذا الديوان، ومدى نجاحه في إيصالها إليهم، وإقناعهم بها، وما لها من أهمية في إثراء الفكر لدى الطفل والارتقاء بذائقته وإمتاعه. فلشعر الأطفال جانب تربوي مهم، يبرز من خلال ما يمكن أن يقدمه من قيم تساهم في تربية الطفل وتنشئته وفق معايير أخلاقية ووطنية سليمة.

الكلمات المفتاحية: الوطن، أدب الأطفال.

*ماجستير لغة عربية / أدبيات – جامعة طرطوس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (5) العدد (9) 2021
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (9) 2021

Homeland Image in 'Children's Collection' of Suliman Al-Issa

Mona Rajab Moustafa*

(Received 10/5 /2021. Accepted 14/12/2021)

□ ABSTRACT □

The poet Suleiman Al-Issa took great care to draw multiple images of the homeland in the "Children's Diwan", in an effort to consolidate these images in the conscience of the young, and to implant the value of citizenship in the mind of the Arab child, which plays a vital role in building homelands and their prosperity. The child is the promising future that will change reality, and contributes to progress and development.

In this research, we will study the patterns of images of the homeland that Al-Issa presented to children in this book, the extent of his success in conveying these images to them, convincing the children of them, their importance in enriching the child's thought and improving his taste and enjoyment. Children's poetry has an important educational aspect, which emerges through the values it can provide that contribute to the upbringing of the child according to sound moral and national standards.

Keywords: Homeland, Children Literature

*Master's In Arabic Literature/Literary Studies – Tartous University – Faculty of Arts and Humanities – Arabic Literature Department.

مقدمة:

يعد الشاعر سليمان العيسى صاحب تجربة قومية ووطنية لافتة في الشعر على نحو عام، وفي شعر الأطفال على نحو خاص. فقد حرص على رسم صور مشرقة للوطن الذي أحبه بعيداً عن التكلف والإسفاف، فجاءت قصائده وأناشيده زاخرة بالعاطفة الصادقة التي مهدت لها سبل الدخول بيسر إلى عقول الصغار وقلوبهم، وفي بحثنا هذا نسعى إلى إظهار تلك الصور التي قدمها للصغار، سعياً منه إلى أن يجعل للوطن مكانة مرموقة في عقولهم تحثهم على الانتماء إليه والذود عن ترابه مستقبلاً، كما سنحاول الكشف عن مدى نجاحه في ترسيخ ذلك في وجدانهم، ونجاحه في الولوج إلى عوالمهم الصغيرة، والإمساك بأحلامهم البريئة. ولكن قبل الولوج في الجانب التطبيقي من البحث، سنحاول أن نقف عند بعض تعريفات أدب الأطفال.

مفهوم أدب الأطفال[1]:

الطفل أمل الأمة ومستقبلها الواعد، ولكي يكون هذا المستقبل مشرقاً، ينبغي لنا أن نعمل على بناء شخصيته بناءً سليماً مدروساً، ولعلَّ أدب الأطفال على نحو عام وشعره على نحو خاص، من أهمّ الوسائل التي تمنحنا فرصة تحقيق ذلك، وهو من الفنون الأدبية الجديدة في الوطن العربي والعالم.

وقد تضاربت آراء الباحثين حول مفهوم أدب الأطفال، كما تضاربت حول تاريخ نشأته، فبعضهم يعتقد أنه فن حديث، وبعضهم الآخر يعتقد أن له جذوراً في تراثنا الأدبي، "فأدب الطفل في التراث العربي له جذوره، ونتاجه الشعري والنثري في الأدبين الرسمي والشعبي، وإن لم يحظَ في الماضي بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته، وتثبيت دعائمه فوق خارطة الأدب بالدرس والتأصيل"[2] كما يرى الدكتور أحمد زلط، في حين يرى الدكتور عبد العزيز المقالح أن الأدب العربي القديم شعره ونثره كان أدب الرجال ولم يكن للمرأة أو الطفل فيه نصيب يذكر إلا في حالات خاصة، وغياب أدب الطفل لم يكن مقتصراً على الأدب العربي فحسب بل على الآداب العالمية كلها، فهي دون استثناء لم تعرف شيئاً من ذلك الأدب إلا في حدود القرنين أو الثلاثة الماضية التي أعقبت عصر النهوض والتنوير في أوربة الحديثة[3]. وكان للدكتور أحمد علي كنعان رأيه أيضاً في هذا المجال إذ يقول: "وإذا أريد بأدب الأطفال، كل ما يقدم إليهم بقصد توجيههم، فإنه قديم قدم التاريخ البشري حيث وجدت الطفولة، أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم ضوابط فنية، ونفسية، واجتماعية، وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال، فإنه – في هذه الحالة – ما يزال من أحدث الفنون الأدبية"[4].

وقد تعددت تعريفات الباحثين لهذا الفن الجديد، فمنهم من يرى أن أدب الأطفال "هو ذلك النوع الأدبي

---

(1): للمزيد انظر منى رجب مصطفى: منظومة القيم الفكرية والفنية في "ديوان الأطفال" عند الشاعر سليمان العيسى – رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الشعر الحديث – إشراف الدكتور محمد معلا حسن – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس، 2021م – ص:12–13.

(2): د. أحمد زلط: أدب الطفولة "أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية"– الطبعة الرابعة، الشركة العربية للنشر والتوزيع– القاهرة، 1997م– ص:31.

(3): د. عبد العزيز المقالح: الوجه الضائع – دراسات عن الأدب والطفل العربي – ط2 – دار الشؤون الثقافية العامة – العراق – بغداد، 1982م – ص: 7–9.

(4): الدكتور أحمد علي كنعان والدكتور فرح سليمان المطلق: أدب الأطفال وثقافة الطفل – منشورات جامعة دمشق، 1431–1433هـ – 2010–2011م – ص: 7.

المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره، ونثره، وإرثه الشفاهي، والكتابي)، فهو نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمرحلة الطفولة، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية... للأطفال، ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة، بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية، والأخلاقية، والفنية، والجمالية"(5).

وبعضهم الآخر يعلن أنه :"الكلام الجيد الجميل الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية، كما يسهم في إثراء فكرهم سواء أكان أدباً شفوياً بالكلام أم تحريرياً بالكتابة، وقد تحققت فيه مقدماته من رعاية لقاموس الطفل، وتوافق مع الحصيلة الأسلوبيّة للسن التي يكتب لها، أو اتصال مضمونه وتكنيكه بمراحل الطفولة التي يلائمها"(6).

موضوع البحث:

هو دراسة صورة الوطن في "ديوان الأطفال" الذي يعد من أبرز الأعمال الأدبية التي قدمها العيسى للأطفال، فقد كان الوطن الملهم الرئيس للشاعر في معظم ما قدمه للصغار، وستقوم الدراسة بإبراز صور الوطن في هذا الديوان، وكيفية تقديم العيسى لها، وأهدافه من وراء ذلك.

أهداف البحث:

إبراز صورة الوطن في ديوان الأطفال، والتعريف بغرض العيسى من التركيز على صورة الوطن وتقديمه بأجمل صورة، وأبهى حلة، ودور ذلك في تفتيح أعين الصغار على جمال الوطن ودفعهم إلى حبه والتعلق به.

أهمية البحث:

تتأتى أهمية البحث من أهمية أدب الأطفال، ودوره في تنمية شخصية الطفل، وتوجيه سلوكه، وتنمية ذائقته، إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت شعر العيسى على نحو عام، وشعره للأطفال على نحو خاص.

منهج البحث:

استندنا في بحثنا إلى المنهج التكاملي الذي يعتمد على مناهج عدة حسب مقتضى الحاجة.

صورة الوطن في "ديوان الأطفال":

الوطن لغةً، هو: "المَنْزل تقيم به، وهو مَوْطِنُ الإنسان ومحله.. وَوَطَنَ وأوْطَن: أقَام... وأوْطَنهُ: اتخذه وَطناً، يقال أوْطَن فلانٌ كذا، أي اتخذها محلاً ومسْكناً يقيم فيها"(7).

ولم يكن الوطن يوماً بالنسبة إلى الإنسان مجرد تراب ومأوى للعيش، بل تعدى ذلك ليُقرن بالشرف

(5): الدكتور أحمد زلط: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال – ط1 – دار النشر للجامعات المصرية – المنصورة، 1415هـ-1994م- ص:16.

(6): أ. د حسن شحاته، أ. د زينب النجار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية (عربي إنكليزي- إنكليزي عربي) – ط1 – الدار المصريّة اللبنانية – القاهرة، 1424هـ-2003م – ص:29.

(7): ابن منظور: لسان العرب،– ط1 – دار صادر – بيروت – لبنان، 1997م – مادة: (وطن).

والكرامة، والحرية والإباء، وصار الدفاع عنه وصونه، دفاعاً عن وجود الإنسان ذاته، وعن قيمه ومبادئه، فكيف بشاعر مثل سليمان العيسى، عُجن بحب وطنه حتى خالط لحمه ودمه! فهو لم يكن شاعراً فحسب، بل كان معلماً ومربياً آمن بالعروبة ورأى فيه ملاذاً ومخلصاً، ودافع عنها بكل ما أوتي من بديع الفكر والكلمات، وهو القائل "من العروبة ينبع شعري وفي العروبة يصب"[8]، وقد تجلت هذه الفكرة في نشيد بعنوان "أنشودةُ عَبير"، رسم فيه صوراً رائعة لهذا الوطن العربي الذي أحبه، وأحب أرضه وسماءه، مضفياً عليه صفة القداسة سعياً منه إلى دفع الطفل إلى تقديسه والتعلق به، والانتماء إليه، إذ يقول[9]:

عبيرُ شُعاعٌ بأرضِ العُروبَةْ
بِلادُ النُّسورِ بلادي الحبيبةْ
أُحِبُّكَ يا وطنَ الأنبياءْ
أُحِبُّ الترابَ، أُحِبُّ السماءْ

وكثيراً ما نرى العيسى يتغنى بالوطن مبرزاً جماله، معدداً خصاله، فهو وطن الخير والطبيعة الخلابة، داعياً إلى حبه والتمسك به وتقديسه من خلال ربطه بالأجداد والأمجاد بكل ما لهما في الذاكرة العربية من قدسية إذ يقول[10]:

وطَني أَشْجارٌ وظِلالْ
وتُرابي قَمْحٌ وغِلالْ
أتفيَّأ ظِلَّكَ يا وَطَني
وأُحِبُّ تُرابَكَ يا وَطَني
أَرْضُ
وَطَنُ

والوطن الذي أراد أن ترتسم صورته في وجدان الصغير هو: وطن النعم والرحمة، وطن السؤدد والحضارة، والعلم الذي يبدد ظلمات الجهل، إذ يقول[11]:

يا بَلَدي، يا بَلَد الرَّحْمَةْ
اذْفُقْ بالخَيْراتْ
كُنْتَ ومَا زِلْتَ النَّجْمَةْ
تَهْدِي في الظُّلُماتْ

إنّه الوطن الحلم، الوطن الكبير الذي كان منارة تنشر العلم والحضارة عبر الزمن، ذلك الوطن الذي دعا سليمان العيسى إلى إعادة بنائه وتوحيده على أيدي صغاره الآتين. فيقول على لسان طفل صغير[12]:

---

(8): سليمان العيسى والدكتورة ملكة أبيض: رحلة كفاح (قصة سليمان العيسى وملكة أبيض) الطبعة الثانية (موسعة ومنقحة)– دار الحافظ – دمشق، 2013م – ص:45.

(9): سليمان العيسى: كتاب اللواء لواء اسكندرون بلدي الصغير – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة – دمشق، 2013م – ص:4.

(10): سليمان العيسى: ديوان الأطفال – ط1 – دار الفكر – دمشق، 1999م– ص:78.

(11): المصدر السابق– ص:723.

(12): سليمان العيسى: الديوان – ص:46.

بابا يَتْعَبُ حَتَّى نَكْبَرْ
نَبْني نَحْنُ الْوَطَنَ الْأَكْبَرْ

وَطَني الْأَكْبَرْ وَطَني الْعَرَبِي
ضاءَ وَحَرَّرْ عَبْرَ الْحِقَبِ

والعيسى الذي نما وترعرع بعيداً عن مسقط رأسه الذي رزح تحت الاحتلال كبر حلم تحقيق وحدة الوطن في أعماقه حتى غدا ساطعاً وحقيقياً كالشمس لا يرقى إليه الشك؛ ذلك الحلم الذي دعا الأطفال إلى تحقيقه بالعلم والمثابرة، حتى يغدو الوطن روضة من رياض الحب تمتد على مساحة الوطن العربي. وها هو يقول على لسان طفل صغير[13]:

أنا طِفْلٌ يا وطَنَ
سَيظَلُّ على شفَتي
وغداً أكْبُرْ
حُلْمي يَكْبَرْ
وأمُدّ خريطتَكَ الكُبرى
حُبّاً وحدائِقَ يا وطني

وفي موضع آخر نراه يؤكد فكرته عن الوحدة ويصورها بطريقة محببة للأطفال، فأرض العرب كلها ديار العربي الصغير، يتجول فيها راكباً قطاراً، والعيسى، بحسب رأينا، لم يختر القطار وسيلة للتجوال في الوطن الكبير عبثاً أو مصادفة، بل لأن القطار وسيلة النقل المحببة للأطفال، فهم في لهوهم يصنعون بأجسادهم قطاراً ويحاكون صوته وهم يركضون؛ فلذلك جعل الشاعر طرقات الوطن الكبير كلها من تطوان إلى بغداد، من أدنى الوطن إلى أقصاه، سكة لقطارهم الذي يحمل البشائر بميلاد فجر عربي موحد جديد، فيقول[14]:

داري داري أَرْضُ العَرَب
زارَ قِطاري وطَنَ الْعَرَبِ
مِنْ تَطوانَ إلى بَغْدادْ
سارَ قِطاري يا أوْلادْ
يَحْمِلُ أطْفالاً وبَشائِرْ
في أرْجاءِ الْوطنِ السَّاحِرْ
داري داري أرْضُ العَرَبِ
بَيْتُ قِطاري وَطَني العَرَبي

وقد ظلت فكرة الوطن الموحد هاجس العيسى، إذ نراها تطل برأسها في كثير من قصائده وأناشيده التي خاطب بها الأطفال، فهو يحفزهم على الطيران؛ لأن فكرة الطيران تقترن بالحرية غالباً، حيث السماء بلا أسوار، وهنا يوحي الشاعر بأن الأسوار مصطنعة، ويدعو النشء إلى عدم الاعتراف بها، فقد ولدوا أحراراً، وهذا نلمسه في قوله" رَبَّانِي أمِّي وأبِي..."، فهما الفطرة والبداية وأول من يزرع القيم في نفس الطفل، يقول في النشيد

(13): المصدر السابق – ص:186.
(14): المصدر السابق – ص:60-61.

الموسوم بـ "نشيدُ الوَحْدة"[15]:

طِيروا في أرْضِ الْعَرَبِ
لا تَغْتَرِفوا بِالأسْوَارْ
رَبَّانِي أمّي وأبِي
لِلحرّيةِ وَالأحرارْ

وفي مستقر شعري آخر في الديوان نراه يعود ليؤكد بإصرار كبير أن هذا الوطن هو موئل الأحرار ومستقرهم، فهو الشعلة التي لا تنطفئ، يحملها الآباء ويضعونها أمانة في أعناق الصغار الذين هم المستقبل والديمومة، وهم من سيحمل راية الدفاع عن الوطن حتى يتحرر، يقول[16]:

يا مَوطِنَ الأحرارِ ، يا أنشودةَ الفِدَا
يا مَوْطِني... ما زلتَ تُعطي النُّورَ
أبي الذي افْتداكْ
سَلَّمَني لِواكْ

وأدرك العيسى بفكره الثاقب أن الحب هو اللبنة الأولى والأساس المتين في بناء الوطن؛ لذلك نراه يدعو الصغار والكبار إلى محبته والإيمان بوحدته، فيقول في نشيد بعنوان "أنشودة صَبَا"[17]:

اِسمي صَبا... قولوا معي
يا كُلَّ أطْفالِ الْعَرَبْ
الوَطَنُ الكبيرُ في
عُيونِنا قدِ انْسَكَبْ
نَشْدُو لَهُ، نحيا لهُ
طِفلاً، وأمّـاً، وأبـا

ولم يغب عن بال العيسى أن للوطن الكبير رمزاً مقدساً يجمع أفئدة الصغار، ويعمّد أخوّتهم، وهو العلم الذي ركز على رمزيته وقدسيته، فالصغار في كل مكان من هذا الوطن الكبير يبدؤون نهارهم المدرسي بتحيته، وقد أصاب العيسى عندما لم يجلب لهم رمزاً جديداً رسمه خياله، بل عمد إلى علم البلاد، وجعل رمزيته تتعدى حدود القطر الواحد، لتشمل الأقطار العربية كلها، كما جعل النشيد خالصاً للعروبة التي هي المجد والخلاص، وها هو ذا يقول على لسان أحد الأطفال في نشيد بعنوان "نَفْديكَ يا عَلَم"[18]:

تَحْـتَ الْعَلَمْ
مِلْءَ القُلُوبِ يُرَفْرِفْ
تَحْـتَ الْعَلَمْ
نُورَ الأُخُوَّةِ نَرْشُفُ
تَحْـتَ الْعَلَمْ

(15): سليمان العيسى: الديوان – ص:85.
(16): المصدر السابق – ص:182.
(17): المصدر السابق – ص:167–168.
(18): سليمان العيسى: الديوان – ص:57–58–59.

باسْمِ الْعروبَةِ نَهْتِفُ
نَفْديكَ يا عَلَمْ
نَحْميكَ يا عَلَمْ
يا مَجْـدَ أمَّتِنا
يا رَمْزَ وَحْدِتِنا
نَفْـديكَ يا عَلَمْ
نحميـكَ يا عَلَمْ

والعيسى آمن بأن البناء لن يكتمل، وتستوي أركان الوطن ما دام هناك جزء منه يقبع تحت الاحتلال؛ ولأنه عانى من احتلال مسقط رأسه لواء إسكندرون، كما أسلفنا، فإنه دأب في قصائده وأناشيده على الحض على مقاومة الاحتلال، وأراد أن يزرع هذه الفكرة في عقول الصغار، فكان لفلسطين السليبة مكانة بارزة في نتاجه الموجه إليهم إذ ظلت جرحاً نازفاً يقضُّ مضجعه ويلوح أمام ناظريه "وهذا الجرح هو امتداد لجرحه الصغير /لواء اسكندرون/ والجرح الصغير قد زاد في الجرح الكبير"[19]، وهو يؤكد باستمرار أن تلك البقعة الطاهرة جزءٌ لا يتجزأ من الوطن الكبير، وأن استرجاعها من بين فكي الاحتلال واجب على كل عربي حاضراً ومستقبلاً، وقد تجلَّى ذلك في نشيد بعنوان "فلسطين داري"، يقول فيه على لسان طفلٍ صغيرٍ[20]:

فِلَسْطِينُ داري وَدَرْبُ انْتصارِي
تَظَلُّ بِلادِي هَوىً في فُؤادِي
وَلَحْناً أَبِيًّا على شَفَتيَّا

ولكي يرسخ تلك الفكرة في عقول الصغار، أخذ يصف الاحتلال وبشاعته، وكيف انطفأت أنوار فلسطين وخيم عليها الظلام، متحدثاً بلسان طفل فلسطيني يعرف عن نفسه أنه من مدينة صفد الفلسطينية التي تمرد فيها الليمون فحبس أزهاره وثماره، ورفض أن يمنحها للغريب المحتل الذي جاء ليزرع الموت والخراب في كل مكان من فلسطين، مستنداً في ذلك إلى تصوير الواقع الأليم، واقع الوطن الذي يئن تحت ثقل أقدام الغزاة، بغية توعية الأطفال بهذا الواقع، ليرفضوه ويثوروا عليه[21]، "فرسالة الفكر ليست في تسكين الواقع بل في البحث عن مُقوّمات تقدمه، وعن أسباب سكونه إذا كان ساكناً.. ورسالة الفكر دَفْعُ الواقع وتطويره بل تفجيره"[22]، يقول العيسى مصوّراً مأساة فلسطين[23]:

أنا من صَفَدِ
سرَقوا بلَدي
بلَدي المحْتَلُّ فِلَسْطينُ
لمْ يُزْهِرْ فيهِ اللَّيْمونُ

(19): إيمان يوسف البقاعي: سليمان العيسى منشد العروبة والأطفال – سلسلة أعلام الأدباء والشعراء – دار الكتب العلمية بيروت، 1994م– ص:78.

(20): سليمان العيسى: الديوان – ص:47.

(21): منى رجب مصطفى: منظومة القيم الفكرية والفنية في "ديوان الأطفال" عند الشاعر سليمان العيسى – ص:47.

(22): د. عبد العزيز المقالح: الوجه الضائع دراسات عن الأدب والطفل العربي – ص:76–77.

(23): سليمان العيسى: الديوان – ص:126–127.

لمْ تَضْحَكْ فيهِ الأَفْياءُ
مُذْ هَبَّتْ ريحٌ صَفْراءُ
جَعلتْ مِن أرْضِ الأزْهارِ
مرْعى للموتِ، ولِلنَّارِ
غُرَباءٌ جاؤُوا بالبُغْضِ
مِن شَتَّى أنْحاءِ الأرْضِ
جاؤُوا بحرابِ الْمُغتَصِبِ
واحتلَّ غَريبٌ دار أبي
في لَيْلٍ أسْودَ شُرِّدْتُ
عَنْ بَيْتي الغالِي أبعِدْتُ

ولم يكتف العيسى بوصف واقع فلسطين، وويلات الاحتلال وما نشر فيها من خراب، بل دعا الجيل القادم إلى المقاومة بكل أشكالها من أجل طرد المحتل الغاصب، مبيناً في الوقت نفسه أنهم ليسوا قتلة ولا مارقين، بل هم طلاب حق، وهنا راعى العيسى قيم الطفولة التي كان من أبرزها المحبة والسلام، فهم لم يسعوا إلى ذلك، لكنه فُرض عليهم، ومن العار أن يغضوا الطرف عما سُرق منهم، وهنا أيضاً تبرز قيمة أخرى يبلغها العيسى للصغار، تضاف إلى قيمة المقاومة، وهي قيمة الإباء، إذ يجب عليهم ألا يسكتوا عن ضيم، فالجزاء من جنس الفعل، وما أُخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة، فيتابع قائلاً[24]:

أنا مِنْ يافا، أنا من صفَدِ
ما أوذِيَ إنْسانٌ بِيَدي
اَلْوَيْلُ لِمنْ سَرَقوا داري
النَّارُ تُقاوَمُ بِالنَّارِ
أنا مِن يافا،
أنا مِنْ صَفَدِ
وَطَني... سأحَرِّرُهُ بِيَدي

إن المتتبع لقصائد العيسى وأناشيده في هذا الديوان، يدرك أنه كان يعي ويتمثل أجواء بيئته العربية، بكل ما فيها من رموز ومقدسات، فالأب عند العربي صغيراً كان أو كبيراً يتمتع بهالة مقدسة؛ لذلك نراه يقسم على لسان الصغير بدموع الآباء، وليست الدموع هنا هي المقصودة بذاتها، بل ما تمثل من قهر وظلم تعرضوا له، فيقسم أنه لن يسكت، وسيجعل من هذه الدموع رايات نصر تعود لتنسكب أمطار حرية في شرايين تلك الأرض، فتدب فيها الحياة من جديد، وتتحقق العدالة، يقول[25]:

قَسَماً بدُموعِ الآباءِ
بالصَّحراءِ
بشَقاءٍ نحنُ ضحاياهُ
نَتَحدَّاهُ

(24): المصدر السابق – ص:128.
(25): سليمان العيسى: الديوان – ص:247-248.

قَسماً لَنْ نَسكُتَ يا وَطَني
سنَهُزُّ جُذورَكَ يا وَطَني
كيْ تَطُلعَ فوقَ الأرضْ
ببهائِكَ فوقَ الأرضْ
وتُوزِّعُ ظِلَّكَ بالعَدلِ
للناسِ جميعاً بالعَدْلِ

ومادام الاحتلال مستمراً، فلا بد أن تكون المقاومة مستمرة على أيدي الصغار الذين سيكبرون ويتدفقون مثل النبض الذي لا يتوقف، فمادام القلب ينبض ستظل الحياة تتدفق في الجسد الفلسطيني الذي سيمسح عن وجه أرضه آثار الظلم والعجز ليعود مشرقاً بالأمل والحرية، فالأطفال هم الغد والأمل والشباب الذي لا يقهر، وبأيديهم سترفع رايات النصر، فيقول[26]:

ونجيءُ نَجِيءُ كدَفْقِ النَّبْضْ
ونُجَدِّدُ وَجْهَ الأرضْ
وتَغِيبُ تَجاعِيدُ الزَّمَنِ
مِنْ وَجْهِكَ يا وَطَني
نحنُ الأطفالُ سَنَمْحوها
بالرَّقْصة نَمْحوها
بالفَرْحَة نَمْحوها
وتَضِجُّ شَباباً يا

مما سبق نرى أن العيسى رسم صوراً مشرقة للوطن العربي، اتسمت في معظمها بالبساطة والوضوح، مما جعلها قريبة من مدارك الصغار غالباً، ولاسيما عندما استخدم بعض العناصر التي استقاها من عالم الصغار وبيئتهم وحاول من خلال هذه الصور غرس القيم الوطنية النبيلة في وجدان الصغار وعقولهم.

(26): المصدر السابق – ص:245-246.

نتائج البحث:

1. تضاربت آراء الباحثين حول مفهوم أدب الأطفال كما تضاربت حول تاريخ نشأته، فمنهم من يراه فناً جديداً مستحدثاً، ومنهم من يرى أن له جذوراً في تراثنا الأدبي القديم.

2. أحب العيسى وطنه وآمن بعروبته إيماناً منقطع النظير، ورأى فيها ملاذاً ومخلصاً، كما رأى أن بناء هذا الوطن وتحريره سيكون على أيدي صغاره مستقبلاً.

3. صور العيسى الوطن في الغالب كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن، والوطن الذي أراد أن ترتسم صورته في وجدان الصغير هو: وطن النعم والرحمة، وطن السؤدد والحضارة والعلم الذي يبدد ظلمات الجهل، إنّه الوطن العربي العظيم؛ وطن الحرية والنور، كما يراه العيسى ويقدّمه للصغار.

4. كان لاحتلال بلده لواء إسكندرون دور بارز في شعره، جعله يستشعر الخطر المحيق بالوطن العربي، ويدعو إلى تحريره من نير الاحتلال.

5. أكد العيسى على فكرة الوحدة، متوسلاً بصور قريبة من مدارك الصغار لشد انتباههم، وإقناعهم بها ليتبنوها مستقبلاً، كما أدرك أهمية الحب ودوره في بناء الوطن، لذلك دعا الصغار إلى محبته والإيمان بوحدته.

6. كان لفلسطين السليبة مكانة بارزة في "ديوان الأطفال" إذ ظلت جرحاً نازفاً يقض مضجعه ويلوح أمام ناظريه، فصور جرائم الاحتلال، داعياً الصغار إلى رفض هذا الواقع وتحديه.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

1. إيمان يوسف البقاعي: سليمان العيسى منشد العروبة والأطفال – *سلسلة أعلام الأدباء والشعراء* – دار الكتب العلمية بيروت، 1994م.

2. أ. د حسن شحاته، أ. د زينب النجار: *معجم المصطلحات التربوية والنفسية* (عربي إنكليزي– إنكليزي عربي) – ط1 – الدار المصريّة اللبنانية – القاهرة، 1424هـ–2003م.

3. د. أحمد زلط: *أدب الطفولة "أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية"– الطبعة الرابعة، الشركة العربية للنشر والتوزيع*– القاهرة، 1997م.

4. الدكتور أحمد زلط: *أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال* – ط1 – دار النشر للجامعات المصرية – المنصورة، 1415هـ–1994م.

5. الدكتور أحمد علي كنعان والدكتور فرح سليمان المطلق: *أدب الأطفال وثقافة الطفل* – منشورات جامعة دمشق، 1431–1433هـ –2010–2011م.

6. ابن منظور: *لسان العرب*،– ط1 – دار صادر – بيروت – لبنان، 1997م – مادة: (وطن).

7. سليمان العيسى: *ديوان الأطفال* – ط1 – دار الفكر – دمشق، 1999م.

8. سليمان العيسى: *كتاب اللواء لواء اسكندرون بلدي الصغير* – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة – دمشق، 2013م.

9. سليمان العيسى والدكتورة *ملكة أبيض*: رحلة كفاح (قصة سليمان العيسى وملكة أبيض) الطبعة الثانية (موسعة ومنقحة)– دار الحافظ – دمشق، 2013م.

10. د. عبد العزيز المقالح: *الوجه الضائع* – دراسات عن الأدب والطفل العربي – ط2 – دار الشؤون الثقافية العامة – العراق – بغداد، 1982م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

1. منى رجب مصطفى: منظومة القيم الفكرية والفنية في "ديوان الأطفال" عند الشاعر سليمان العيسى – رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الشعر الحديث – إشراف الدكتور محمد معلا حسن – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس، 2021م.